معهد الدين القيم

بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس (القواعد الأربعة)

شرح الشيخ (هادي حماد) حفظه الله

الدرس رقم (2)

المستوى الثاني

التاريخ: الثلاثاء: 20/شوال/1440

الدرس الثاني من شرح القواعد الأربعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين وصلَّى الله وسلم على نبيه محمد وآلهِ وصحبه أجمعين أما بعد:

فبعد تلك المُقدِّمة النَّافعة التي تضمنتِ الدُّعاء للقارئ؛ والتنبيهَ على دلائل وعناوينِ السَّعادة شرعَ المُؤلف - رحمهُ الله - بتعريفِ دين الإسلام، وذِكْر العبادة، وبيان ما يناقضُ التَّوحيد فقال رحمهُ الله:

(اعلَمْ أرشدكَ الله لطاعتهِ أنَّ الحنيفيَّةَ مِلَّة إبراهيم أنْ تَعْبُدَ اللهَ مخلصًا لهُ الدِّين كما قالَ تعالى:{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون}.)

قولهُ - رحمهُ الله - (اعلمْ أرشدكَ اللهُ لطاعتهِ) في هذا من براعةِ تعليم وَحُسْن التنبيهِ وجَذْبِ هِمَّة السَّامع وفكرهِ ما جاء في كتاب الله عز وجل أي انَّ المُؤلف- رحمهُ الله - اتَّبَعَ ما جاءَ في كتابِ الله وسُنَّة النَّبي ﷺ؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيم ﴾.[المائدة-98]

وقولهُ ﷺ؛ (اعلمْ أنّ الامَّة لو اجتمعت علي انْ ينفعوكَ بشيءٍ لم ينفعوكَ الا بشيءٍ الَّا قد كتبهُ الله لك..)الحديث

فالتنبيهُ بقول اعلم من حُسْن التعليم وقد ورد في الكتاب والسنة.

وقولهُ:(أرشدك الله لطاعته) يعني وفَّقك فالتوفيقُ والهدايةُ والرَّشاد بيد الله سبحانه وتعالى؛ يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

قولهُ - رحمهُ الله - : (أنَّ الحنيفيَّة مِلَّةَ إبراهيم أنْ تعبدَ الله مُخلصًا له الدين)

في هذا بيانُ تعريف الحنيفيَّة وأنها مِلةُ إبراهيم؛ وفي هذا ردٌ على تحريفِ أهل الكتاب وجِدالهم وبيان حقيقة إبراهيم عليه السلام ودينهِ الحق؛ وما كان عليه من عمل وإخلاص ألا وهو دين الإسلام - التوحيد - كما قالَ تعالى: ﴿ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ

وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٦٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧)﴾ [آل عمران 65-67]

فبيَّن سبحانهُ وتعالى ضلالَ من ضَلَّ من أهلِ الكتاب والمشركين في إبراهيمَ عليه السلام وأنَّ ابراهيمَ مسلمٌ حنيفٌ مخلصٌ.

وأصلُ معنى الحنيفية: المَيْل

فهي الميلُ عن الشركِ والسيرُ في طريقِ توحيد الله عز وجل وطاعتهِ؛

والحنيفية هي أن تعبد الله مُخلصًا له الدين؛ فجمعت العبادة والاخلاص؛ ولا بُدَّ من العبادة ولا بُدَّ ان تكون هذه العبادة خالصةً لله

لا شرك فيها؛ ولا تُعرَف العبادة إلا من طريق الرُّسل؛ فالعبادة توقيفية لا تعرف الا من طريق الرُّسل فكل عبادةٍ لم يأت بها نبينا ﷺ وكل عبادةٍ لم يعرفها الصَّحابة رضي الله عنهم فهي بدعة بل ضلالة وكل ضلالة في النار؛ فيتحقَّقُ بالحنيفية توحيد الالوهية فهي تتضمن ذلك

فالحنيف لا يعبدُ غير الله والحنيفية اخلاص الدين لله؛ وفيها ايضًا توحيد الاتِّباع

فالحنيفية عبادة؛ فيها عبادة اي عبادة الله وحده، اخلاص الدين لله

وتوحيد الاتباع أن تتَّبع النبي ﷺ فلا تأخذُ عبادةً تعبدُ الله بها إلا وقد جاءت عن رسولنا ﷺ؛ إلا وقد صحَّت عن رسولنا ﷺ؛ هذا هو توحيد الاتِّباع كما قال ابن القيِّم - رحمه الله -:

فلواحدٍ كُن واحدًا في واحدٍ **** أعني سبيل الحق والإيمان**

فلواحد: اي لله عز وجل

كن واحدًا يعني عملك ولواحد همتك واخلاصك لواحد

كن واحدا مخلصًا

في واحدٍ يعني في صراطٍ مستقيمٍ واحد وهو طريق النَّبي ﷺ جاءنا عن السلف رضي الله عنهم

أعني سبيل الحقِّ والايمان

اي لواحد في واحد كن واحد

أعني سبيل الحق والايمان

فالحنيفيةُ نعم تعريفها ما ذكره المؤلف - رحمه الله - : أن تعبدَ الله مخلصًا له الدين

فلا بُدَّ من

- **معرفةِ العبادة**
- **ومعرفةِ الاخلاص**
- **ومعرفةِ الدين**

العبادة: هي كلُ أمر يحبه الله ويرضاه من الأقوالِ والاعمال الظاهرة والباطنة.

والإخلاص: تكون هذه العبادة خالصة من الشرك؛ لا شرك فيها يرادُ بها وجه الله ولا يعبد بها غير الله.

مخلصًا له الدين: يعني العمل؛ فعملك عبادتك تكون خالصةً لله عز وجل ولا تستطيعُ أن تعرف هذه العبادة من الاقوال والاعمال الظاهرة والباطنة الا عن طريقِ النَّبي ﷺ فلا بُدَّ من توحيد الاتباع لا بُدَّ من الابتعاد عن الابتداع وتجنبِ البدعة.

ثم قال - رحمهُ الله -:(**كما قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}**)

نعم فبيَّنَ الله عز وجل في هذه الآية الكريمة الغايةَ التي خلق الجنَّ والانس لها، وبعث بها جميع الرسل والانبياء وهي عبادتهُ سبحانه وتعالى بإخلاص الدِّين اي العمل له؛ وذلك يتضمنُ محبتهُ ومعرفتهُ والاقبال عليه والاعراض عمّا سواه

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾.

قال - رحمهُ الله - : (**فإذا عرفتَ أنَّ اللهَ خلقكَ لعبادتهِ فاعلمْ أنَّ العبادةَ لا تسمى عبادةً إلَّا مع التوحيد**)

أي بِما أنك قرأت هذه الآية (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) وفهمتَ معناها ووعيتَها فيجبُ عليك أن تفهمَ معنى العبادة وشرطها؛ عرفتَ أنَّ الله خلقكَ لعبادته فيجبَ عليكَ أنْ

تفهمَ معنى العِبادة، ويجبُ عليكَ أنْ تعرفَ شرطها حتى تكونَ عبادة شرعيَّةً يقبلها الله عزوجل.
ولا بُدَّ ان تعرفَ أن هذهِ العبادة لا تُسمَّى عبادة - أي عبادةً حقيقيَّة شرعيَّة مقبولة - وإن كانت في صورة العبادة؛ فهي في صورتها عبادة لكنَّها ليست عبادة شرعيَّة إلَّا مع التوحيد.
فالرسولُ ﷺ قال لرجلٍ: (ارْجع فصلِّ فإنَّكَ لم تصلِّ)
وإن كانت صلاتهُ في الظاهر صلاة؛ لكن لمَّا خلت عن بعض الشروط قال له: لم تصلِّ - أي صلاةً شرعيَّة-
لذلك جاءَ في كتاب الله ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾
هم يعبدون لكن هذه العبادة ليست ماذا؟ شرعيَّة
هي لا تُسمَّى عبادة أي عبادة شرعية؛ هي كانت في ظاهرها عِبادة لكنَّها ليست عبادة يُؤْجر عليها.
فالعبادة لغير الله عز وجل تُخَلِّدُ الإنسانَ في النار إن لم يتب في الدنيا ويوَّحدُ الله عزَّ وجل
فلا بُدَّ من التَّوحيد: **توحيد الألوهية وهو إفراد الله بالعبادة** وأن تكونَ هذه العبادة مِمَّا شرعهُ الله في دينه؛ فلا تكون هذه العبادة من البِدع؛ ومعرفةُ ذلكَ لا يتمُّ من غير معرفة الرسول ﷺ ومنهج السلف كما تقدم
ثم ضربَ لكَ مثلًا فقال:
(**كَما أنّ الصَّلاةَ لا تُسمَّى صلاةً إلَّا مع الطَّهارة**)
إلا مع وجود شرطِها؛ لا تُسمَّى صلاة، كما قلنا في ظاهرها صلاة لكنَّها ليست صلاة شرعيَّة مقبولة؛ رأى رجلا يُصلي، فلما سلّم قال له ارجع فصلِّ فإنك لم تُصَلِّ.
قال:(**فإذا دخلَ الشركُ في العبادةِ فَسدتْ كالحدثِ إذا دخلَ في الطَّهارة**).
الشرك إذا دخلَ في العبادة إذا كان شركًا أصغرًا كالرِّياء فسدت العبادة وهناك يعني صور يذكرها الفقهاء يعني بانها تفسد جزءًا ولا تفسدُ الآخر ونحو ذلك لكن المراد التفرقة بين الشرك الأصغر (الرِّياء) والشرك الأكبر.
الشرك الأصغر (الرِّياء) إذا خالطَ عمل المسلم فإنه يُبطل هذا العمل؛ لا يبطل سائر أعمال المسلم.
لكن الشرك الأكبر -الفقهاء اختلفوا مثلًا إذا دخل الرياء في جزء من صلاة العبد ولكن لم

يختلف العلماء أنه إذا دخل الشرك الأكبر في جزء من عمل الرجل- فإنه يبطل هذا العمل ويبطل سائر أعمال ذلك الرجل.

فالشرك الأكبر يحبط العمل كله؛ يخلد العبد في النار.

ثم قال - رحمه الله -: (**فإذا عرفتَ أنَّ الشركَ إذا خالطَ العبادة أفسدها وأحبطَ العمل وصارَ صاحبهُ من الخالدينَ في النَّار؛ عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك لعلَّ الله أن يخلصك من هذه الشبكة وهي الشرك بالله الذي قالَ الله تعالى فيه: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرَ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}**)

فانظرْ إلى هذه المقدِّمة كيف يترتَّب بعضُها على بعض؛ ومعرفتك لبعضها يَدُّلك ويلزمكَ لمعرفة غيرها؛ فبمجردِ أن عرفتَ أن الله خلقك لعبادتهِ قادكَ ذلك إلى معرفة العبادة والإخلاص والشرك؛ فتقوم بأول واجب على العبيد وهو التوحيد؛ كما قال الشيخ الحكمي - رحمه الله -:

أول واجبٍ على العبيـــــدِ معرفة الرحمن بالتوحيدِ

إذ هو من كلّ الأوامرِ أعظمُ وهو نوعانِ أيًا من يفهمُ

أي توحيد المعرفة والإثبات، توحيد الربوبيَّة وتوحيد الأسماء والصفات

ولذلك ما يناقضه من الشرك

يعني توحيد الربوبيَّة له ما يناقضه من عدم اعتقاد وجود خالق؛

أو اعتقاد وجود خالق مع الله؛ ذلك مناقض مضاد لتوحيد الربوبية

كذلك توحيد الأسماء والصفات كالتعطيل والتشبيه

والنوع الثاني: وهو نوعان أيا من يفهم

الأول توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات

النوع الثاني هو توحيد الألوهية وما يناقضهُ من العمل شيئان:

- الشركُ وعبادةُ غير الله.
- والإعراض الكامل عن عبادة الله.

الإعراض عن عبادة الله يُناقض توحيد العبادة - توحيد الألوهية -

هذان يناقضان توحيد الالوهية ويُخلِّدان العبد في النَّار.

قال- رحمهُ الله -:(وذلكَ بمعرفةِ أربع قواعد ذكرها الله في كتابهِ)

أي استدلال إنما هو بكتاب الله لا أبتدع ولا أخْتَرِع شيئا من تلقاء نفسي

هذه القواعد التي يريد أن يعلمكَ إياها إنمَّا هي من كتاب الله لم يأتِ بها المؤلف - رحمه الله - من عند نفسه؛ لم يخترعها كما اخترع كثير من أهل الكلام قواعد باطلة وأصولًا ليست باطلة فحسب؛ بل زِد على ذلك مُخالفة لما أصَّلَهُ الكتاب والسُّنة وما جاء عن السلفَّ.

نعم نقف هنا نقرأ القاعدة الأولى والثانية في الدرس القادم إن شاء الله

والله أعلم

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.